

مدائن الريح ارتباد الآفاق واستكشاف الذات

الشارقة - مراد

الترحال والتطواف في شوارعها وبين هضابها وتلالها، سارداً مغامراته وما تخللها من تشويق مفعم بالذهول والاندھاش من المشاهدات والمواقف التي مرّ بها، وتدوين كل شاردة وواردة طيلة الرحلة، ووصف الشوارع والطرق والأماكن والمدن والمعالم التاريخية والصروح التراثية والمراكز الثقافية بلغة جميلة وأسلوب رشيق، كاشفاً ما تختزنه من عراقية وقدم.

يقدم الكاتب الرحالة الدكتور عبد العزيز المسلم أمودجاً رجلياً مهماً في كتابه «مدائن الريح»، ارتباد فيه الآفاق وجاب المجهل، حباً في الاطلاع ورغبة في الاستكشاف، متأثراً في ذلك بمن خاضوا هذه التجارب قبله في الرحلة والكتابة من أمثال: ابن بطوطة، نقولا زيادة، سمير عطالله، الليدي آن بلنت، وموثقاً أولى رحلاته داخل الإمارات وخارجها، ومشاهداته في تلك المدائن التي شغف بها حباً، فحدثه إلى خوض غمار

مدائن الريح

يستهلُّ المؤلف الحديث عن «مدائن الريح» بإهداء عميق الدلالة ينطوي على بوح شفيف بما يخالجه من أحاسيس ومشاعر تجاه مدنه الباسمة، فيسافر «إلى مدينة الحويلة في قطر، مدينة آل مسلم، ومدائن ذهبت مع الريح»، مستظهراً بما وعاه من أبرز مؤلفات الرحلة التي أثّرت فيه وأثّرت تجربته وأغنتها، ودفعه إلى الكتابة عن الرحلة والمدن الساحرة، حيث يقول: «كل هذه المصنّفات وذكريات رحلاقي الأولى الداخلية والخارجية، كانت نواة طيبة لبعث همة تمكّني من كتابة بعض الكلمات والجمال التي تمثّل انطباعاتي ومشاهدي التي كانت في أحيان كثيرة تقريرية وتسجيلية، فقد كنت أرى أن التحليل والنقد قد يكون شيئاً من الخيانة لشيء أحببته».

يحتوي الكتاب على يوميات ومشاهدات الكاتب التي تحتفي بالمدن ومعالمها، وبالظواهر والوقائع التي استأثرت باهتمام رحالة أتيح له عبور المحيطات والتجوال في القارات والتطواف في المجاهل والمجابات، ليعود من تجواله إلى مدينة القلب مكتشفاً أن الحب الأول لا ينسى أبداً، حيث نيطت عليه التمايم في أول أرض صافحها جسمه.

كانت مدينة خورفكان الواقعة على الساحل الشرقي لدولة الإمارات، مهد رحلاته الأولى في مطلع السبعينيات من القرن المنصرم، ثم توالى بعدها رحلات عديدة في الكثير من الأقطار والأمصار والبلدان، العربية والغربية، في آسيا، إفريقيا، أوروبا، أمريكا.



وتشمل الدول التي زارها رحّالنا وكتب عنها في هذا السّفَر: لبنان، ليبيا، سلطنة عمان، الأردن، تايلند، الهند، مصر، المغرب، البرتغال، فرنسا، أمريكا. والمدن: بيروت، طرابلس الشرق، طرابلس الغرب، عمّان، صور، بانكوك، بنغلور، ميسور، بنديبور، حيدر آباد، دلهي، القاهرة، زنجبار، الدار البيضاء، الرباط، مراكش، الصويرة، لشبونة، باريس، أطلنطا.

يطغى على الكتابة حسّ الرحالة الشعري ووعيه التاريخي وميله الرّحلي، فيقدّم للقارئ معلومات تاريخية وجغرافية وثقافية وأدبية عن المكان المزور وأبرز ما يميّز به، وأحياناً ما قيل فيه من أشعار مما وعته ذاكرته وحوته تقاييده، كما هو الحال مع لبنان التي تغنى بها الشعراء قديماً وحديثاً، وألهمتهم - بما حباها الله من

جمال - صوراً شعرية ولغة تصويرية للمكان في أبهى حله وأجمل صوره. يقول: «من أهم البلدان التي عرفها أهل الإمارات في تلك الأيام وباتت ذكراها تراثاً اليوم: (الهند، مصر، لبنان)؛ فالهند كانوا يقصدونها للتجارة والتعليم والعلاج، ومصر كانت رمز العزة والانتماء للقومية العربية، أما لبنان فقد كان حديقة العشق ودوحة الغناء ومزار الأحلام».

مدائن الشعر

استحضر الكاتب الرحالة في تضاعيف رحلاته، ما استقرّ في خَلده مما جادت به قرائح شعراء الإمارات البارزين من أمثال الشيخ صقر بن سلطان القاسمي، سلطان بن علي العويس، راشد الخضر، راشد بن طُناف، وغيرهم، في وصفهم وتحنانهم إلى لبنان وربوعه الجميلة وجنانه الوارفة، وما قاله الوليد بن يزيد بن عبد الملك عن بيروت، وما ذكره شاعر الهند الكبير طاغور في رائعته المشهورة «غيتا ناغالي» في مديح المدن.

شواهد المدن الساحرة

توقف الكاتب الرحالة في أسفاره التي جاب فيها القفار والأمصار عند معالم تاريخية وشواهد أثرية، وصروح علمية وثقافية، ومشاهد متعدّدة من البلدان المَزُورة؛ ففي لبنان: «الجامعة اللبنانية، جامعة القديس يوسف، المتحف الوطني، متحف الجامعة الأمريكية، متحف سرسق، مدينة غنجر الأثرية، قلعة تبنين، مغارة جعيتا، قلعة سان جيل في طرابلس الشام».

وفي عمّان بالملكة الهاشمية: «متحف

التاريخ الطبيعي، المتحف الوطني، سوق العطارين، سوق النحاسين. أما في المملكة المغربية فقد رصد الكاتب في رحلته، التي طاف فيها معظم مدن المملكة، بعض المراكز والمعالم والصروح، ومن بينها: مدينة شالة، قسبة الأوداية، برج حسان، مسجد سوسة الكبير، ساحة الفنا، قصر الباهية، ضريح يوسف بن تاشفين، جامع الكتبية، منتزه المنارة. وفي عاصمة النور (باريس) تحدث الكاتب عن: معهد العالم العربي، كنيسة نوتردام دي باري، متحف اللوفر، السوربون، معهد باستير، الكوميدي فرانسيز، مدرسة الفنون الجميلة، الأكاديمية الفرنسية. أما خاتمة «مدائن الريح» التي جابها الكاتب، فقد كانت مدينة أطلنطا بأمريكا الشمالية مروراً بمدينة شيكاغو، وفي أطلنطا استعرض الرّحالة أبرز المعالم والمراكز والمتاحف الموجودة بالمدينة، وهي: متحف العلوم والصناعات، القبة السماوية، متحف الحرب الأهلية، المنطقة التاريخية لمارتن لوثر كينج، بيت مارجريت ميتشل، متحف الفنون، مركز كارتر الرئاسي، متحف التاريخ الطبيعي، متحف العلوم، حديقة الحيوان.

لقد رصد الرحالة معالم المكان المَرُور وثقافته وتاريخه، وتمثّل أهله للآخر ونظرتهم له، كما سرد أبرز المحطات والمواقف التي مر بها، والتي كانت تشعل في قلبه فتيل الحنين إلى الوطن والأهل والأبناء؛ فكانت رحلته سِفْراً وافياً ودليلاً تعريفياً بثقافات العالم وعوالمه الأسرة التي شُغف بها حباً.

العثمانية، قصر فلكنما، مقابر القطب شاهين، قلعة بيدار، حديقة عثمان صغر، معبد رامابا، قبر ريموند، مسجد ماجا، مسجد شاهي كتب». أما في جمهورية مصر العربية؛ فقد استعاد لحظات تاريخية مهمة تحيل إلى الحضارات القديمة التي تعاقبت على تاريخ مصر وأسهمت في تشكيل هويتها وثقافتها عبر التاريخ، متوقفاً عند بعض المعالم والشواهد، وهي: جامع عمرو بن العاص، جامع أحمد بن طولون، جامع السلطان حسن، جامعات: الأزهر، حلوان، القاهرة، المتحف المصري للآثار، متحف الفن الإسلامي، المتحف القبطي، متحف الحضارة المصرية.

وتحدث عن أشهر المساجد والمعالم في زنجبار، وهي: مسجد مبلول، بيت العجائب، جزيرة السلاحف، متحف

الآثار الأردني، آثار جبل القلعة، المدرج الروماني الكبير، متحف الحياة الشعبي، القصور الصحراوية».

ووصف في بانكوك بتايلند: «القصر الكبير، المتحف الوطني، حديقة الورود، مزرعة التماسيح».

وفي مدينة بنغلور بالهند زار: «معبد الثور (بل)، حديقة كويون، حصن وقصر تيبو سلطان، منتزه لال باغ، خزان سانكي، بحيرة السور، فيدهانا سودها، المتحف الحكومي، متحف فشفسوارايا، حديقة بنزقاتا الوطنية، ديفاراينا دورقا».

وفي ميسور بالهند أيضاً تحدث عن قصر لالشا محل، متحف السكة الحديدية.

وذكر أبرز المعالم التاريخية والأثرية والدينية المعروفة في حيدر أباد، وهي: «قلعة غولكوندا، مسجد مكة، الجامعة

